NESMA
VOICE
RADIO
بودكاست
قطط

كمبا - الشجاعة أساس السعادة

ما أقسى طفولتي! وما أثقل تلك الذكريات على نفسي!

ولدت في زقاق ضيق في ظل جدار شبه متهدم، ووسط النفايات التي كانت تملأ تلك الزاوية فتحت عيني لأول مرة، رأيت أمي، كانت جميلة وحنونة، عيناها واسعتان باسمتان، جسدها دافئ ورائحتها لم تفارق مخيلتي حتى بلغت هذا العمر.

كان لي أشقاء وشقيقات، لكن لم يمهلني القدر لأحيا مع أسرتي الصغيرة سوى بضعة أسابيع، بعدها وجدت نفسي محمولًا بيد صبي صغير من أبناء الإنسان، انتزعني بعنف فخفق قلبي الصغير رعبًا، رفعني لعينيه فرأيتهما واسعتين ومرعبتين، شعرت أنه قادر علي ابتلاعي بعينيه

الضخمتين مقارنة بحجم رأسي الصغير، علقني بيده وسار بي في طرقات لا أعرفها، ثم سمعت صرخة عالية ففزع الصبي، وألقاني من يده، وانطلق هاربًا.

تدحرجت على الأرض الصلبة، فخدش جسمي الصغير، وشعرت أن عظامي الهشة على وشك أن تتحطم، تحاملت على نفسي وجعلت أركض مسرعًا أبحث عن مأوى في هذا العالم المخيف، أبحث عن زقاق يشبه الزقاق الذي ولدت فيه، أبحث عن جدار متهدم يخفي في ظله جسدي وروحي، وعندما وجدته لم أعثر فيه على أمي وأشقائي!

وبدأت رحلتي في الحياة كقط صغير مشرد بشعر فاحم السواد يخيف كل من ينظر إليه من بني الإنسان، رغم أني لم أعرف سر هذا الخوف

وتلك الصرخة التي تنطلق من حناجرهم، وأرجلهم التي تضربني وتبعدني بعنف كلما وقفت بجوار أحدهم أسأله بأدب وخضوع عن لقمة عيش يابسة من بقايا طعامه.

تعايشت مع ظروفي القاسية، تعايشت حتى جاء اليوم الذي استيقظت فيه على ألم لا يطاق، صرخت بكل قوتي، ورأيت ذاك الصبي يبتعد بدراجته بعد أن داس بها على طرف ساقي السوداء وأنا غارق في نومي، آلمتني ساقي، آلمتني كثيرًا، وحرمتني من لقمة العيش، لأنها أقعدتني على الأرض، وحالت بيني وبين تسلق صندوق النفايات، والبحث عن طعام بين مخلفات الإنسان وبقاياه.

كنت قد بلغت سنتي الأولى وقتها، وفي إحدى الليالي اشتد بي الجوع، سرت على أطرافي الثلاثة وقد رفعت ساقي المصابة لا أعرف ما أصنع بها، سرت بلا هدى حتى وصلت لمدخل بناية، سمعت هاتفًا يأمرني بدخولها فدخلت.

أطعته دون نقاش ولا أدري لماذا، صعدت الكثير من درجات السلم دون هدف، كنت فقط اتبع أمر هذا الهاتف الغريب، ثم وقفت أمام باب بيت في الرابعة صباحًا، ورفعت صوتي أموء بخجل، مرة، مرتين، ثلاثة حتى فُتح الباب.

ارتعدت مفاصلي حين رأيتها، إنها سيدة من بني البشر، ترى ماذا عساها فاعلة بضيف معاق مثلي يطرق بابها في هذا الوقت المتأخر؟!

كدت أتراجع وأعود من حيث أتيت، غير أني سمعتها تقول برقة:

تعال، ادخل»، فدخلت.

شيء لم أدركه في صوتها جعلني اطمئن لها، تفقدت جسدي وساقي المصابة، مررت يدها على ظهري، تبسمت والتمعت عيناها وهي تقول:

«أنت جميل جدًا، شعرك الأسود اللامع مدهش، وتلك اللؤلؤة البيضاء في منتصف رقبتك، لديك شارب أبيض كذلك، أنت رائع!»

لم أفهم كيف تعجب بلوني الذي أخاف الجميع، ولم أعرف شيئًا عن اللؤلؤة البيضاء في رقبتي أو ذلك الشارب الأبيض اللذين تتحدث عنهما، لكن بدا أن الحياة قد قررت أخيرًا أن تبتسم لي.

أسميتها سيدتي، اتخذت قراري بنفسي، حبها لي وحنانها جعلاني أرفعها لمنزلة سيدتي، ثم رفعتها لمنزلة أمي حين أطعمتني وغسلت فرائي المغبر وجففتني، لا يغسل البشر أجسامهم بألسنتهم مثلنا نحن القطط، إنهم يغمرون أجسامهم بالماء وكذلك فعلت بي، كانت تجربة الماء حدثًا جديدًا بالنسبة لي، لكنه ارتبط عندي بالحب لا بالخوف.

ما أكثر التجارب الغريبة التي مررت بها في تلك السنة!

عشت في بيت سيدتي طويلًا، أحبت لوني وملامحي، وكذلك فعل أطفالها، أما زوجها فقد صرخ فزعًا حين رآني كسائر البشر، لكن قلبي الصغير لم ينكسر حينها، كان الحب والكره قوتين متساويتين أمامي، فشعرت بالأمان، لا داعي للخوف، هو يخشاني ويكرهني، وهي تريدني وتحبني.

لكن سيدي تغير بعد ساعات، تقبلني كما أنا،
وربما استطاع أن يرى روحي المختبئة اسفل
معطفي الأسود، ومع الوقت أحبني ودللني كثيرًا.
لا زلت أذكر مذاق حبات الزيتون التي كان
يطعمني إياها وهو يضحك، كانت حبات سوداء
لامعة مثل شعري تمامًا، وكان مذاقها لا يقاوم،
أتناولها فتغمرني السعادة، أرتمي على الأرض
واتدحرج من البهجة، وأسمع صوته وهو يضحك
لتصرفاتي العفوية.
ومع مرور الأيام اعتدت البشر وأحببتهم، لم أحب
كل البشر، لكنني أحببت أسرتي الجديدة فقط،
وشعرت بأن الأمان محبوس بين هذه الجدران
الأربعة فقط، أما خارجها فيعيش الخوف طليقًا
يتربص بي.

لم تفارقني ذكريات الماضي، واشتقت لأمي وإخوتي، شعرت بالحنين لأبناء جنسي، فوقفت بالساعات على إفريز النافذة أموء بصوت عال أنادي عليهم:

«تعالوا إلي، ليصعد أحدكم لبيتي، دعونا نتحدث أو حتى نتصارع لنلهو، أريد أن أعرف أخباركم، هل يعرف أحدكم أمي؟ هل من بينكم شقيق لي؟»

وعندما تكررت نداءاتي حُملت ذات ليلة خارج بيتي، وُضعت في الشارع الذي أتيت منه فعصف بي الخوف والكره، انقلب حبي لأسرتي لكره لا يعلم مداه إلا الله، شعرت بالغدر، واندفعت في الشارع المظلم محملًا بطاقة الغضب.

التقيت البعض من أبناء جنسي فتعاركت معهم وأنا أنفس عن غضبي وألمي، وجرحت ونال أحدهم من كتفي، فانتزع منه قطعة من اللحم، لقد أخذ الشارع قدمي ومن ثم كتفي.

التجأت لمبني مهجور وأقمت فيه إحدى عشرة ليلة، كانت جراحي على وشك الالتئام، هذا الالتئام أعادني لأسرتي من بني البشر، في ذلك البيت شُفيت ساقي أخيرًا، لكن شفاءها دفعهم للغدر بي، من اتخذ القرار؟ أظن أنه سيدي، لقد كان يصرخ بأعلى صوته يومها، ربما كان يلقي بأوامره التي وجب أن تطاع فكنت أنا الضحية.

لكن.. ألم يأمر سيدي بما كنت أريد؟ ألم أحن لأبناء جنسي؟ ألم أكن أناديهم وأدعوهم؟

نعم، فعلت ذلك، لكن لم أكن شجاعًا للذهاب إليهم، كان الخوف يشدني بسلال قوية ومنيعة حتى حطم سيدي سلاسلي بعنف وقذف بي إلى الشارع، هذا الرجل كان يحبني ويطعمني، وكان قراره بإخراجي للشارع هو الوجه الآخر لحبه وحنانه.

حين أدركت أن سيدي لم يكرهني حين فعل ما فعل قررت العودة لبيتي، لكن هذه المرة سأتحلى بالشجاعة، حين أشتاق لبني جنسي سأخرج إليهم، سأتنزه خارج البيت حين أريد، الخوف موجود في كل مكان وبإمكاني أن اختبأ منه وأخشاه

وبإمكاني أيضًا أن أواجهه بشجاعة وانتصر عليه، سعادتي تكمن في شجاعتي، وأنا المسؤول عنها.

وبدون هاتف يدعوني هذه المرة، عدت لبيتي، صعدت السلم ووقفت أمام الباب في الرابعة صباحًا كالمرة السابقة، رفعت صوتي بالمواء، ففُتح الباب، وصرخت سيدتي من الفرحة، حملتني بين ذراعيها، تفقدت جسدي، قبلتني، نظفت شعري وغسلته بالماء، ونظر لي سيدي صباحًا وقال:

«وأخيرًا عرفت كيف تعود إلى بيتك!».

أنا كمبا وهذه فصتي

للاستماع للحلقة
امسح الكود

NESMA VOICE RADIO

c/nesmavoiceradio

راديو نسمة فويس

NesmaVoiceRadio

nesmavoiceradio